بسم الله الرحمن الرحيم

مقياس: حاضر العالم الإسلامي السنة الأولى ماستر فقه مقارن + فقه مالكي

المحاضرة السّابعة:

ثالثا: نتائج التحديات الداخلية والخارجية على العالم الإسلامي.

أولاً: الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية:

إنّ توالي هذه التحدّيات والوقوف في وجهها تصدّها الأمة ممثلة في علمائها ومجدّديها وقادتها استنزف قواها فقادها إلى الضّعف، وأخذ العالم الإسلامي يتفكك ويضعف، فقعد المسلمون عن الاجتهاد وركنوا إلى التّبعية والتقليد.

وانقطعت صلتهم بماضيهم وأسلافهم في الجهاد وتضحياتهم، فانحسر إرثهم الإسلامي في بطون الكتب فأهدرت في الأمة روح الإبداع والابتكار، وتردى المسلمون إلى الانحطاط والجمود في مواجهة التحديات، والتزم علماء الأمة ومفكروها دائرة الحواشي والمتون ينزلونها أحيانا منزلة القداسة والعصمة.

وفي الوقت الذي بدأ فيه العالم الإسلامي يتحرك من جموده ويبعث الإسلام في مختلف مجالاته وينفض عنه غبار الجمود والتقليد والتواكل بقيام دعوات لإحياء الإسلام في قلب الأمة كالشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والحركة السنوسية في ليبيا، والحركة الدهلوية في الهند، والسلفية بالمغرب،...في وقت قد طغت الحضارة المادية الغربية، وتسلّط الاستعمار على بلاد الإسلام، فاشتدّ التحدي فلم تنجح هذه الحركات في جمع شمل المسلمين، ونجاحها كان محدودا، فابتعد المسلمون عن تطبيق الشريعة بفعل الاستعمار والصهيونية والشيوعية.

وأول قر ألغيت فيه الشريعة هو الهند، ولم يبق الإنجليز منها إلا الأحوال الشخصية، ثم السودان سنة 1899م، وأما العراق فقد استبدل الإنجليز فور الاحتلال بقانون الجزاء العثماني قانونا جديدا باسم قانون العقوبات البغدادي سنة 1918م، وفي تونس طبق القانون الوضعي سنة 1914م.

وأمّا مصر فبعد تسلّل النفوذ الفكري الفرنسي إليها، وربي الخديوي إسماعيل في فرنسا وصاغته صياغة غربية غريبة عن الأمة، وقد صرح بأن يجعل مصر قطعة من أوربا لانبهاره بحضارتها، فأسرف في بناء القصور والتماثيل والحدائق والمنتزهات والمسارح، ودور الغناء بلا ضرورة ولا وعي، فأغرق البلاد في الديون، فتجرّأ على هدم الشريعة بتشييد مدرسة للحقوق

على النمط الفرنسي، فأصبحت مصدرا أساسيا لتخريج أجيال مقطوعة الصلة بالإسلام، ثم طوّرت لتصبح كليات.

وبعدما غرقت مصر بالديون، تدخل الأجانب بحجة حماية أموالهم حتى كان في الوزارة المصرية وزيران انجليزي وفرنسي، وانتهت باحتلال البلاد ثم فرض شريعة الغرب عليها.

ثانيا: سقوط الخلافة العثمانية وتفكك الأمة الإسلامية:

العثمانيون من شعب الغزّ التركي، وأصلهم من بلاد التركستان، نزحوا أمام اكتساح جينكيز خان لبلاد خوارزم الإسلامية.

ويعتبر عثمان بن أرطغرل هو المؤسّس الأول للدولة العثمانية، وبه سميت عندما استقلّ بإمارته سنة 1300م، وأخذت هذه الإمارة على عاتقها حماية العالم الإسلامي، وتولّت قيادة الجهاد، وأصبحت المتنفس الوحيد للجهاد، فجاءها كل راغب فيه، واجتذبت المتحمّسين لنصرة الإسلام من مجاهدين وعلماء ودعاة، فتمكنت بذلك من ردّ الصّليبين ونقلت الصراع من آسيا إلى أوربا بعد أن كان العالم الإسلامي على وشك الوقوع بين كماشة الصليبية أحد فكيها: البرتغاليون في البحر من الجنوب الشرقي، وقواعدهم في شبه القارة الهندية، والفك الآخر: كان زحف الروس من الشمال.

وبهذه العاطفة الإسلامية المتأججة في نفوسهم ممتزجة بالروح العسكرية حملوا راية الإسلام وأقاموا أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ في القرون المتأخرة، امتدّت على ثلاث قارات هي: أوربا وآسيا وإفريقيا، فأزالوا الدولة البيزنطية، واستولوا على البلقان، ودقّوا أبواب فينا عاصمة الإمبراطورية النمساوية، ووصلوا جنوب روسيا، وهدّدوا روما، وبقيت الحارس الأمين للعالم الإسلامي لمدة أربعة قرون، وأطلقت على دولتهم اسم (بلاد الإسلام)، وعلى حاكمها اسم (سلطان)، وكان أعزّ ألقابه أليه (الغازي)، كما أطلق على جيوشها (جند الإسلام)، وعلى عالمها الديني (شيخ الإسلام)، وأما اللفظان العثماني والتركي فهما من المصلحات الحديثة.

وقد بقيت الدولة العثمانية عزيزة الجانب وهي تذوذ عن حمى الإسلام، وأسدت خدمات جليلة للمسلمين على امتداد تاريخها، ولكنها في الفترة الأخيرة من حياتها وقعت في أخطاء عديدة أخطرها على الإطلاق هو الانحراف العقدي من تشجيع الصوفية، وعدم اتخاذ من الإسلام مصدرا أساسيا للتشريعات والقوانين الوضعية فيما سمي بالتجديدات، وذلك بسبب الضغوطات الأوربية، فتمكنت الدولة الطريق في مواجهة العواصف الاستعمارية.

وفي هذه الفترة ارتقى السلطان عبد الحميد الثاني سلطة الخلافة (1876–1908م) في أسوء ظروف التآمر على الدولة، فقد استولى أعداء المسلمين على معظم آسيا وجميع جنوب شرق آسيا، وشواطئ شبه الجزيرة العربية عدن وحضر موت وعمان وإمارات الخليج، فنادى السلطان بفكرة الجامعة الإسلامية لحفظ الدولة العثمانية، ولصون عقدها من الانفراط، فهزّت هذه الدعوة دول العالم الغربي وخاصة انجلترا وفرنسا وروسيا وكلفتها جهدا كبيرا لمحاربتها واتّهام السلطان والتشكيك فيه، فلجأت إلى التآمر مع الصهيونية والمحافل الماسونية للإطاحة به.

فرسم الاستعمار مخططه للحيلولة بين الدول الإسلامية والدولة العثمانية في أي نوع من الوحدة لتتمكن من تقسيم الدولة العثمانية، فلذلك اتخذت عدة تدابير سياسية هي:

–تعميق الدعوات الإقليمية والخاصة بالوطنية والأرض والأمة والعرق.

–خلق جو فكري عام لمحاربة الوحدة الإسلامية وتصفيتها.

وكلّ هذا مقدمة لإلغاء الخلافة العثمانية نهائيا وبالتعاون مع الصهيونية.

فقامت الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)، دخلت تركيا إلى جانب ألمانيا والنمسا، والحلفاء جرّوا العرب إلى جانبهم، فسادت فكرة القومية العربية، ووقع الصدام بين العرب والترك.

إنّ خلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الاتحاد والترقي في الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم أثناء الحرب وبعد الحرب في مراحل هي:

١–اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية بين الحلفاء، وذلك في معاهدة سايكس بيكو سنة 1916م السرية في الوقت الذي وعدوا فيه العرب بالاستقلال، وأهم ما تضمنته المعاهدة:

أ–أن يكون جنوب العراق لبريطانيا، وساحل سوريا الشمالي لفرنسا.

ب–تتكون دولتان عربيتان شمال العراق وأواسط بلاد الشام وجنوبها، يكون النفوذ في الأولى التي تشمل شمال العراق وشرق الأردن لبريطانيا، والنفوذ في الثانية التي تشمل أواسط سوريا والجزيرة الفراتية لفرنسا.

ج–تكون فلسطين دولية.

د–تكون الآستانة والمضايق لروسيا.

٢-وعد بلفور الذي أصدرته بريطانيا للصهيونية سنة 1917م، بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود.

٣-تسليم تركيا لأبشع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية بنقلها من دولة ذات طابع إسلامي إلى دولة غربية الطابع.

فقام الاتحاديون بتوجيه الدولة وجهة قومية لادينية، وهر مصطفى كمال باشا بمظهر المنقذ لشرف الدولة من الحلفاء واليونان، فقام باستثارة روح الجهاد في الأتراك ورفع القرآن وردّ اليونانيين على أعقابهم، وتراجعت أمامه القوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته، فكانت بداية الطعم لإظهار شخصية مصطفى كمال، فابتهج العالم الإسلامي وأطلقوا عليه لقب الغازي، ولكنه في الحقيقة صنيعة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى

وفي عام 1923م أعلنت الجمعية الوطنية التركية قيام الجمهورية في تركيا وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وفي عام 1924م أقدم أعم هدية للغرب وهي إلغاء الخلافة، فألغيت وزارة الأوقاف سنة 1924م، وفي سنة 1925م أغلقت المساجد، وقضت الحكومة على كل تيار ديني، وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التّقدّم.

واستبدل الشريعة بالقانون المدني أخذته تركيا عن القانون السويسري سنة 1926م، وغيّر التقويم الهجري، كما أهملت الحكومة التعليم الديني كلية في المدارس الخاصة، وألغت لبس الطربوش، وأمرت بلبس القبعة تشبها بالدول الأوربية.

وفي عام 1929م فرضت الحكومة إجباريا باستبدال الأحرف العربية باللاتينية، وتشبها ومجاراة للغرب أصدرت الحكومة سنة 1934م مرسوما يقضي بحمل كل فرد اسم أسرته، وألغى الحجاب وقوامة الرجل على المرأة، وأطلق لها العنان باسم الحرية والمساواة، وشجع الرقص، وتزوج من لطيفة هانم ابنة أحد الأغنياء الذي كان على صلة كبيرة مع اليهود، وجرت مراسيم الزواج على ريقة الغرب للتشجيع على نبذ العادات الإسلامية.

فكان سقوط الخلافة العثمانية أكبر انتصار للصليبية واليهودية العالمية والشيوعية، وبذلك بدأت الأمة الإسلامية دورا جديدا من أدوار الجهاد التحديات وشهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية.

وبعد هلاك مصطفى وبفعل الضغط الشعبي الإسلامي حصل بعض التراجع عن بعض العداء للإسلام، تمثل ذلك في:

سمح بافتتاح المدارس الشرعية، وإعادة الآذان باللغة العربية، وسمح بتلاوة القرآن بالإذاعة، وافتتحت كلية الدين الإسلامي بأنقرة.

وقد قام المسلمون ثورات مسلحة ضد الحكم العلماني التركي المعادي للإسلام، وقمعها أتباع مصطفى بشدة منقطة النظير، كما قامت حركة النور بزعامة بديع الزمان سعيد النورس وتلامذته من بعده، والحركة اقتصرت في جهادها باللسان، فسجن أتاتورك بديع الزمان ثم نفاه بعد تهمته بالمؤامرة، ولكن دعوته استمرت في الانتشار سراً بين صفوف الطلبة ومعسكرات الجيش ودوائر الدولة، ومَثَل للمحاكمة بتهمة اتهامه أتاتورك بالدجال، ثمّ أعيد إلى منفاه ثم تحت الإقامة الجبرية إلى أن توفي رحمه الله.

بعض المصادر والمراجع:

-الدولة العثمانية، علي حسون.

-أصول قانون العقوبات في الدول العربية، محمود مصطفى.

-الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، إبراهيم العسلي.

-الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، محمد كمال الشرقاوي.

-العالم الإسلامي والاستعمار، أنور الجندي.

-حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان.

-هموم داعية، محمد الغزالي.